

المثليات في حياة الشباب

بقلم الأستاذ س . م

نحن نعيش في أيام تاريخية . بل إن التاريخ ليهدر فوق رؤوسنا كأنه الرعد . فقد انفجرت قوات التدمير في البر والبحر والجو تحاول بالعنف والبطش أن تحوّل مصير الأمم وترفع هذه الأمة أو تحط تلك الأخرى . ولكن مع وفرة هذه القوى المادية تعتمد كل أمة على قوتها الروحية وما تسمده لتركبة قضيتها من مبادئ الأخلاقية وتقاليدها السامية وعدالة نظامها . وذلك لاعتقادها أن لا قيمة للقوى المادية في الحرب إذا كانت القوة الروحية قد وهنت أو انهارت .

ذلك أن الجندي الذي يقف في الميدان يحتاج الى التعبئة الروحية بقدر بل بأكثر مما يحتاج الى التعبئة الحربية . فهو إذا لم يكن شجاعاً وانفاً بحقه في القتال لم تنفعه الأسلحة التي يحمل مهما تعددت ووزعت . وهنا يحضرنا مثال أورده الطبري في تاريخه حين وحدث قوى الفرس أمام العرب . فقد ذكر أن ما نعينه الآن " بالحقوة لروحية " قد تضعضع عند الفرس على الرغم من وفرة سلاحهم حتى كان العربي يأمر الفارسي بالحضور أمامه ثم يقتله . والفارسي صامت عاجز عن الدفاع أو الفرار .

والإنسان لراقي روح أكثر مما هو جسم . وهو يقيس سعادته بأقيسة روحية من الدين والأمل والحق والنقاة والشرف والمكانة الاجتماعية والوطنية والاستقلال والإخاء والحرية . وكل هذه وأمثالها إنما هي أقيسة روحية لا أثر للماديات فيها . وإذا اختلت هذه الأقيسة أو إذا أخذت الأقيسة المادية تطغى عليها كاترف والتكاثر بالمال واقتناء الفاخر من الاس أو الأثاث أو العقار والانكباب على لذات الطعام وسائر الشهوات فان الانحطاط يأخذ . مكان الرقي وتشرع الأمة في تلك الانحدارات التي يحفل بها التاريخ .

وعلى ذلك نرى أن الأقيسة الروحية — سواء في الحرب أم في السلم — هي الدعائم التي يقوم عليها رقي الفرد وانتصاره . بل هو لن يعيش الحياة المنتجة الصالحة المصلحة، الحياة الطيبة، الا اذا كانت له أقيسة روحية يقيس بها نشاطه وعمله وأمله . ومن هنا قيمة المثليات في حياة الشاب .

والمثليات (جمع مثل مثل حسنى وأخرى) هي أمثل الحالات التي ينشدها الانسان في العائلة المثل أو الحكومة المثل أو غير ذلك . ونحن نعبر بهذه اللفظة في العربية عما يعبر عنه الأوروبيون بلفظة Ideal .

ولم تمش أمة قط بلا مثليات حتى حين انحدرت الى أحط الدركات في تاريخها . لان الانسان في كل وقت يحتاج الى أن يفهم من وجوده مغزى روحيا . وكثير من الفاضل إنما هي رموز ياد بها هذا المغزى الروحي . فإننا نرفع الأعلام يوم الأعياد . وهي رموز حسية تدل على معنى أو مغزى وطي . ولكن كذلك أيضا الفاظ الشرف والطهارة والاستقامة والبر والحق والعدل إنما هي رموز أخرى غير حسية تدل على حالات مثلى نحب أن يحققها الفرد في أخلاقه وسلوكه وتحققها الأمة في تصرفها مع أبنائها . والانسان الراقى يتطلع على الدوام الى ما يعلو على مستواه المادى . وهو لا يسعد الا إذا كان يحس أنه يرق وأن نظره مسدد الى الجوم وأنه خلال السنين او حتى القرون القادمة — فى شخص أبنائه وأحفاده — سوف يكون اسمى وأبر وأعقل مما هو فى الوقت الحاضر .

ولكن الشاب وهو يتشوق الى المثليات فى عالم قد اختلفت بل تناقضت فيه المذاهب يتشوش ذهنه وتضطرب أقيسه . وهو عائد عرضة لأن يقع فى أخطاء ويتجه نحو أهداف فاسدة تشتت قواه . ولذلك يحتاج الى الارشاد أى الى البوصلة الصادقة التى توجه نشاطه نحو الأهداف الانسانية السديدة التى تخدم الخير والبر والسعادة .

والمثليات كثيرة . وهى أيضا متفاوتة فى قيمتها بعضها يعم الانسانية وبعضها يخص الوطن . فتحزن حين نشد السلام "عالمى أو الإخاء البشرى أو الديمقراطية إنما تتطلع الى تحقيق مثليات عالمية ، يشترك فيها المصرى مع الصينى مع الأمريكى مع التركى . ولكنها حين نشد الرفاهية للفلاح المصرى أو ترقية السكى فى مدننا للقراء أو زيادة التعليم إنما تتطلع الى مثليات وطنية وليس ن الضرورى أن تكون مثلياتنا من الطراز الفخم الضخم الذى يقصد منه الى إصلاح العالم كله . اذ حسبنا أن نرتفع فوق أنفسنا ونخدم شأنا انسانيا يغذو روحا ونحس به أننا أعضاء نافعون مشتركون فى الرقى الانسانى .

ونحن حين نخدم أحد الشؤون الانسانية نخدم أنفسنا كما نخدم هذا الشأن الانسانى . بل لعل الانتفاع أكبر فى جانبنا . لأن الشاب الذى يرصد بعض وقته لدراسة الأطفال اليتامى ومساعدتهم يشغل ذهنه ووقته بالخطير من الدرس الذى يكسبه معارف جديدة وشخصية قويمية . والصبي اليتيم بالطبع ينتفع من هذا المجهود . ولكن ظنى أن الشاب قد انتفع أكثر . وكذلك الحال فى ذلك الشاب الذى ينضوى الى جمعية للبر بالفقراء أو لتعليم الصبيان المحرومين أو لإنقاذ الساقطات . فإن كل هؤلاء المساكين ينتفعون بهذه المجهودات . ولكن الشاب القائم بهذه الخدمات ينتفعون أكثر ، لأن من يمارس البر يصير رجلا باراً . ومن يدعو الى الخير ويعمل به لن يكون رجلا شريفا . ولذلك إذا كانت الدنيا أو المجتمع ينتفعان بالمثليات فإن الدعاة الى هذه المثليات ينتفعون أيضا بما يكتسبون من نشاطهم فى الدعوة اليها من أخلاق طالية وشخصيات غالية .

فنحن نخدم المثاليات ونزق بها الدنيا أو المجتمع ولكن هذه المثاليات تغزو أرواحنا وترفعنا وتسمو بنا وتجعل منا رجال جدد وخير ومصلح . وهذا كسب روحى عظيم .

وهنا تتضح لنا قيمة الجرائد والمجلات والمؤلفات في بعث هذه المثاليات وتجديدها . لأن الصحيفة التى ندأب في بحث المشكلات العالمية أو الوطنية تحرك أذهان قرائها الى ضرورة الحل لهذه المشكلات . ولا بد من التشخيص قبل العلاج . فاذا لم تعرض هذه المشكلات في شرح وایضاح وتكریر حتى يتنبه الضمير الحامد ويستيقظ الذهن النائم فإن الشاب القارئ يبقى بلا مثاليات . وهو عندئذ لا يجد الغذاء الروحى كما لا يجد المجتمع النشاط الذى ينتظر من افراده لإصلاح مفاسده .

وقد علمتنا الحرب القائمة أن القوة الروحية أهم وأخطر من القوات المادية . فيجب ألا ننسى أن هذه القوة الروحية لها أيضا قيمتها وخطرها أيام السلم . وأن ما يغنوها هو المثاليات يؤمن بها الشاب ويسعى لتحقيقها فيخدم المجتمع ويخدم نفسه معا .

فعل كل شاب أن يأخذ على عاتقه بعض الواجبات الاجتماعية يؤديها لكي يرقى بالمجتمع الذى يعيش فيه سواء بنشر التعليم أو انشاء المستشفيات أو ايجاد الملاجئ كما عليه أن يبحث المذاهب السياسية والاجتماعية ويدرسها لكي يستنير بها ويعتمد عليها في خطة البر والخير التى يتخذ . فان الرجل يجب أن يكون بصيرا بموقع بره على دراية بنتائج عمله . فهذا فورد الثرى الأمريكى مثلا يرى أن البر ليس الاحسان على الأعرج والأعمى والأصم بل هو استخدام كل هؤلاء حتى يشمروا بكرامتهم . وقد يكون القرش الذى نعطيه جزانا للصبي المتكفف أسوأ الأعمال التى تؤثر أسوأ الأثر في حياة هذا الصبي .

والبر صلة التى ترشدنا في سلوكنا وتجعل بنا مفيدا بعيدا عن الضرر هى المثاليات التى تصور بها لأنفسنا المجتمع الأمثل .